دروس الحديث الشريف الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة الأحاديث القدسية

الذين يحرمون من ليلة القدر ((العاق لوالديه))

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا متقبلا يا أكرم الأكرمين.

عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ)) فَاسْتَغْفِرْ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.[مسلم].

عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**((لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ كَانَ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ)).[الطبراني]**

وهذا عمر صحابي، وأويس تابعي، أي أنه من الطبقة التي بعدها، وأفضل خلق الله بعد الأنبياء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيدنا عمر يقول له: يا أويس ادع لي، استغفر لي، النبي صلى الله عليه وسلم ذكرك لنا: وقال: بأنك بار بأمك: ولو أقسمت على الله لأبرك. فاستغفر له أويس.

الآن حديث آخر: **عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن ههنا غلاما قد احتضر يقال له قل: لا إله إلا الله فلا يستطيع أن يقولها، قال: ((أليس قد كان يقولها في حياته ؟)) قالوا : بلى، قال:**

((فما منعه منها عند موته ؟)) قال: فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه حتى أتى الغلام، فقال: ((يا غلام قل: لا إله إلا الله))، قال: لا أستطيع أن أقولها، قال: ((ولم ؟)) قال: لعقوق والدتي، قال : ((أحية هي ؟)) قال: نعم، قال: ((أرسلوا إليها)) فأرسلوا إليها فجاءت، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ابنك هو؟)) قالت: نعم، قال: ((أرأيت لو أن نارا أججت فقيل لك: إن لم تشفعي له قذفناه في هذه النار))، قالت: إذا كنت أشفع له، قال: ((فأشهدي الله، وأشهدينا معك بأنك قد رضيت))، قالت: قد رضيت عن ابني، قال: ((يا غلام، قل: لا إله إلا الله))، فقال: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الحمد لله الذي أنقذه من النار)). [البيهقي].

في هذه الأيام نستقبل ليلة القدر، وهذه الليلة خير من كل العمر، خير من ألف شهر، أي ثلاث وثمانون عاما، ومن حُرم خيرها فقد حرم الخير الكثير.

فمن حُرم ليلة القدر، فليتعب طيلة حياته على قدر ما يشاء، فقد حُرم الليلة التي يوزع فيه العطايا الكثيرة، والجوائز الغالية، والهبات الكبيرة !، ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5) ﴾[القدر] .

لله عز وجل في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار، فإذا كان آخر يوم من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بقدر ما أعتق من أول الشهر إلى آخره، وإذا كانت ليلة القدر يأمر الله عز وجل جبريل عليه السلام ، فيهبط في كبكبة من الملائكة إلى الأرض ومعهم لواء أخضر، فيركز اللواء على ظهر الكعبة، وله مائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في تلك الليلة، فينشرهما في تلك الليلة فيجاوز المشرق إلى المغرب، فيبث جبريل عليه السلام الملائكة في هذه الليلة فيسلمون على كل قائم، وقاعد، ومصل وذاكر يصافحونهم، ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر ينادي جبريل معاشر الملائكة الرحيل الرحيل، فيقولون يا جبريل، فما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة محمد

صلى الله عليه وسلم؟ فيقول جبريل: نظر الله إليهم في هذه الليلة فعفا عنهم، وغفر لهم إلا أربعة »، فقلنا: يا رسول الله من هم؟ قال: « رجل مدمن خمر، وعاق لوالديه، وقاطع رحم، ومشاحن »، قلنا: يا رسول الله، ما المشاحن؟ قال: هو المصارم، فإذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، فإذا كانت غداة الفطر بعث الله الملائكة في كل بلاد فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك، فينادون بصوت يسمع من خلق الله عز وجل إلا الجن والإنس فيقولون: يا أمة محمد، اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل، ويعفو عن الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم، يقول الله عز وجل للملائكة: ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره ، قال : فيقول : فإني أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامه رضائي ومغفرتي، ويقول: يا عبادي، سلوني فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئا في جمعكم لآخرتكم إلا أعطيتكم، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم فوعزتي لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتموني، فوعزتي لا أخزيكم ولا أفضحكم بين يدي أصحاب الحدود ، انصرفوا مغفورا لكم قد أرضيتموني ورضيت عنكم ، فتفرح الملائكة ويستبشرون بما يعطي الله عز وجل هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان)) .[البيهقي].

لذلك كل واحد مِنّا لم يصلح ما بينه وبين أمه، أو ما بينه وبين أبيه، اليوم يذهب فوراً إليهم بدون تفسير ولا مناقشة، ولا يقول: إن الحق عليهم أو: إن أبي ظلمني، أو نحو ذلك .

لا تفلسف الأمور، فهذه أمك، مهما فعلت هذه أمك، وأنت تعرف من أين خرجت إلى الدنيا !، فلا تتكبر كثيراً هذه أمك، وإن لم تبر أمك فإن الله تعالى لن يبرك !.

لأن أقرب الناس إليك أمك، فإذا لم تكن نافعاً لأمك، فلن تكون نافعا لأحد .

بعض الشباب يكون لهم أصدقاء سيئين، يلعبون بعقولهم، ويخدعوهم ويغوهم فيقول له صديقه مثلا:

- ✓ لا تقل لي تريد أن تستأذن هذه العجوز التي في بيتكم !.
- ✓ هذه أمك متخلفة لا تعرف معنى الحضارة!.
- ✓ هـذا أبـوك الـذي لا يعـرف اللغـة الإنكليزيـة، ولا يعـرف أن يسـتعمل الإنترنيت هو الذي سيقرر لك مسار حياتك !.
- ✓ أنت من الجيل المتقدم، وذلك الجيل جيل رجعي، وجيل متخلف!.

يغونه ليوصلوه إلى العقوق (والعياذ بالله تعالى)، والله إنهم يوقعونه في الشقاء، ولن تجد بارا في الحياة، إلا وهو موفق وبالعكس، لن تجد عاقا موفقا!.

واعلموا أن أهم وأعظم أسباب التوفيق: بر الوالدين، وهي كلمة سر عجيب ، والله تجد أناسا بسطاء جدا جدا، وحالتهم الدينية بسيطة جدا، لكنهم بارّون، لا تعرف كيف تنقلب أمورهم، ويصبحون في أعلى المراتب مكانة وجاهاً ومالاً، ورب العالمين يعزّهم، ولا تعرف كيف!.

كلمة السر هي بر الوالدين.

لا يقول أحدهم: أنا وأبي متشاجرين والحق عليه، أنا وأمي أيضا كذلك، والحق عليها، وعلى فرض أن ذلك صحيحاً، فليس من المعقول أن تأتي أمك إليك وتعتذر منك، ولو كانت هي المخطئة، عليك أن تعتذر أنت، لأن هذه أمك، وهذا أبوك!.

واعلم أن إبليس يريد أن يحجبك عن كل فضائل شهر رمضان، فيقول لك: هي يجب أن تتصل بك، هي يجب أن تزورك !.

واعلم أنك لو كنت متشاجرا مع أمك، وكانت منزعجة منك، أيقن أنها في كل يوم بالليل والنهار، تريدك أن تأتي إليها.

فاذهب إليها في هذه الليلة، وخُذ لها معك شيئاً من الحلوى، وقل لها: أنا أريد أن أقبّل يدك، والله إنها ستبكي وتقبلك، وتقول لك: رضي الله عنك .

سأقول لكم قصة مضحكة: مرة كنتُ مسافراً إلى حلب، فخطر لي أن أرسل لأمي رسالة، فوضعت لها فيها حبة من اللِّبان (العلكة) ، وضعتها في الرسالة، وأرسلتها في البريد فوصلت إليها.

هذه القصة منذ خمسة عشر أو عشرين عاما، وهي إلى الآن تشكرني عليها

الأم لطيفة جدا ودودة وبسيطة جدا، تقرّب إليها بابتسامة، بتقبيل يدها، بأن تشعرها بأنك أنت ابنها، وكذلك افعل ذلك مع أبيك؛ **وإلا فإن الأمر خطير جداً، إن كان هناك عقوق للوالدين.**

أحد الشعراء نظّم قصة، وهذه القصة تربوية، وليست حقيقية فقط للفائدة:

أغرى امرئٌ يوما غلاما جاهلا بنقوده كيما ينال به الوطر

قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى ولك الجواهر والحلي والدرر

فمضى وأغمد خنجرا في صدرها والقلب أخرجه وعاد على الأثر

لكنه من فرط سرعته هوى وتعثر القلب المعفر إذ عثر

ناداه قلب الأم وهو معفر ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر

فكأن هذا الصوت رغم حنوه غضب السماء به على الولد انهمر

فاستل خنجره ليطعن نفسه طعنا ليكون عبرة لمن اعتبر

ناداه قلب الأم كف يدك ولا تطعن فؤادي مرتين على الأثر

هذه هي أمك تؤذيها، وتُثقل عليها، وتزعجها، ثم هي تبحث عن سعادتك وعن رضاك ! .

فيا أيها الشباب، ويا أيتها الفتيات: خاصة من كان عمره ثلاثة عشر وخمسة عشر وثمانية عشر عاما !، خاصة من خرج اليوم من بيته، وأغلق الباب خلفه، وهو يقول: الله يخلصني منكم ومن عيشتكم!، ومن قال: أنا لست عائدا اليوم إلى البيت !.

خاصة الذي اتصلت به أمه على الجوال فأغلقه في وجهها!، خاصة الذي أبوه يتصل به، وهو لا يرد عليه، ويقول: قولوا له ليس هنا !،خاصة الذي منع أولاده في رمضان من الذهاب إلى جدهم وجدتهم، وقالوا لهم: كل عام وأنتم بخير !

لذلك نحن بحاجة أن نعود إلى آبائنا وأمهاتنا .

و إذا أردت أن يوفقك الله تعالى في ليلة القدر، فارجع إلى أبيك وأمك وبرّهم.

كنتُ في الجامع الأموي في درس، وبعد الدرس جاءني شاب فقال لي: أنا منذ عشرة سني ، لم أتكلّم مع أبي. وعمره ثلاثين عاما.

فقلت له: لا تتكلم معي، ابتعد من هنا، لا تتلكم بأي كلمة.

قال: أريد أن أسألك سؤالاً.

قلت له: لا تقل أي كلمة، و ابتعد من هنا.

قال: هو تزوج على أمي وفعل وفعل !.

قلت له: لا تتكلّم معي، حتى تتكلّم مع أبيك!.

ما نفع الأسئلة؟!؛ ما الفائدة إذا ما سألت عن حكم الصيام وعن حكم الإفطار، وما حكم كذا، كلك أنت هالك، إذا كنت عاقا لأبيك، ومنذ عشر سنين لم تتكلم معه، فهل سيتوقف الأمر على بلع قليل من الماء في رمضان !.

قال: أستاذ هو تركني والله لم يعطني أقل اهتمام، وزوجته صارت تؤذينا.

قلت له: اسمع ما أقول لك: الآن تذهب وتخرج من الجامع وتتصل بأبيك وتقول له: أنا الآن أريد أن آتي من أجل أن أقبّل يديك ورجليك؛

فقال: هو ظلمني!.

قلت له: أنت افعل هذا مع الله، لأن الله تعالى أمرنا بذلك، والله تعالى يسأله لم فعلت كذا ولم لم تفعل كذا، لكن أنت لا تحاسب والدك، يعني كل ابن كبر قليلا صار

يريد ان يحاسب والده، ويحاسب أمه !، لماذا فعلتِ كذا، ولم لم تفعل كذا؟! هذا لا يصح.

عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، قَالَ: ((: **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ قَالَ:الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)).[البخاري].

انظروا إلى هذا الترتيب، وأداة العطف ثم تحمل معنى الترتيب، يعني ببرك بأمك وأبيك أهم من الجهاد في سبيل الله.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعلنا بارين بأمهاتنا وآبائنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.